تفريغ شرح القواعد الأربعة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس الثالث)

(تنبيه: هذا التفريغ لم تتم مراجعته واعتماده من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فهذا هو المجلس الثالث بحمد الله –تعالى- مِن مجالس التَّعليق على رسالة القواعد الأربع، والَّتي نأمل إن شاء الله ليوفِّقنا ربُّنا –عزَّ وجلَّ- لأن نختم في هذا المجلس هذه الرِّسالة بحول الله –تبارك وتعالى-، وكنَّا قد انتهينا والحمد لله من التَّعليق على القاعدة الأولى والقاعدة الثَّانية في مجلس البارحة. وهذا اليوم سوف نستعين باللَّه –سبحانه وتعالى- على التَّعليق على القواعد المتبقِّية، القاعدتين المتبقِّيتين: القاعدة الثَّالثة والقاعدة الرَّابعة.

يقول المصنِّف –عليه رحمة الله تعالى-:

[المتن]

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَمِيعًا وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

[الشرح]

أراد المصنِّف –عليه رحمة الله تعالى- في هذه القاعدة أن يُوضح أنَّ الشِّرك لا ينحصر في صرف العبادة للأصنام، ولا في صرف العبادة لِمن لا يُعتقد فيه أنَّه إله، وبيان ذلك أنَّ بعض النَّاس وبعض الطَّوائف المُبتدعة تظنُّ أنَّ ما لم يعتقد الإنسانُ أنَّ صرف العبادة لغير الله شركا أو أن يعتقد أنَّ هذا الَّذي أُشرك به سواءٌ كان مَلَكا أو نبيًّا أو ولِيًّا، ما لم يعتقد الإنسان أنَّه إله،

فلا يضرُّه أن يُشرك به وأن يَصرف له شيئًا من أنواع العبادات التي لا تكون إلَّا للَّه –تبارك وتعالى-؛ وهذا مِن الجهل بدين اللَّه –عزَّ وجلَّ-.

ولأجل أن نُوضح هذه القاعدة وأن نُجلِيَ الفهم فيها بحول الله –تبارك وتعالى- لا بُدَّ لنا من بيان ثلاثة أمور مهمَّة إن شاء الله –تبارك وتعالى-:

١. الأمر الأوَّل هو: تعريف العبادة.
٢. الأمر الثَّاني هو: تعريف الشِّرك.
٣. الأمر الثَّالث من هذه الأمور هو: في بيان أنّ صرف العبادة لِغير الله –عزَّ وجلَّ- يكون شركا في جميع الأحوال.

فما هو تعريف العبادة؟

وقبل أن نبيِّن ونُوضح معنى العبادة، لَعَلِّي أن أذْكُر شيئًا من كلام العلَّامة عبد الرَّحمن المُعلِّمي -عليه رحمة الله تعالى وأسكنه فسيح جنَّاته- وهو كلام نفيس يدلُّ على علم وفهم لهذا الإمام -عليه رحمة الله تعالى-، يقول الإمام المعلِّمي –عليه رحمة الله تعالى- في كتابه "***رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله***"، قال –رحمه الله تعالى-: "تَدَبَّرْتُ الخِلَافَ المُسْتَطِيرَ بَيْنَ الأُمَّةِ فِي القُرُونِ المُتَأَخِّرَةِ فِي شَأْنِ الاسْتِغَاثَةِ بِالصَّالِحِينَ وَالمَوْتَى، وَتَعْظِيمِ قُبُورِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ، وَتَعْظِيمِ بَعْضِ المَشَايِخِ الأَحْيَاء، وَزَعْمِ بَعْضِ الأُمَّة فِي كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ شِرْكٌ، وَبَعْضُهَا أَنَّهُ بِدْعَةٌ، (بعض الأمة يقول شرك وبعض الأمة يقول بدعة) وَبَعْضُهَا أَنَّهُ مِنَ الحَقِّ، وَرَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ وَقَعُوا فِي تَعْظِيمِ الكَوَاكِبِ، وَالرَّوْحَانِيِّينَ، وَالجِنِّ، مَا يَطُولُ شَرْحُهُ، وَبَعْضُهُ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ التَّنْجِيمِ وَالتَّعْزِيمِ، كَشَمْسِ المَعَارِفِ وَغَيْرِهِ. (هذا شمس المعارف من كتب المُتَصوِّفة، الكتاب كلُّه سِحر عِياذا بالله –عزَّ وجلَّ- من أوَّله إلى آخره، طيب) وَعَلِمْتُ أَنَّ

مُسْلِمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُقْدِمُ عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شِرْكٌ وَلَا عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ كَافِرٍ؛ وَلَكِنَّهُ وَقَعَ الاخْتِلَافُ فِي حَقِيقَةِ الشِّرْكِ، فَنَظَرْتُ فِي حَقِيقَةِ الشِّرْكِ فَإِذَا هُوَ بالاتفَاقِ اتِّخَاذُ غَيْرِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– إِلَهً مِنْ دُونِهِ" (يعني إلى الآن ما جاء موطن الشاهد لكي نعلم أهمية تعريف العبادة وضبط معنى العبادة) قال: " فَنَظَرْتُ فِي حَقِيقَةِ الشِّرْكِ فَإِذَا هُوَ بالاتفاق اتخاذ غَيْرِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– إِلَهً مِنْ دُونِهِ أَوْ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–" (ثم هنا الآن، يذكر موطن الشاهد الذي نريده من هذا الكلام)، قال: " فاتَّجَهَ النَّظَرُ إِلَى مَعْنَى الإِلَهْ وَالعِبَادَة فَإِذَا فِيهِ اشتِبَاهٌ شَدِيدْ..." (حتى قال في آخر الكلام)، قال: " فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ الاشْتِبَاه هُوَ سَبَبُ الخِلَافْ".

فأوضح –رحمه الله تعالى– وأبان من كلامه هذا الذي ذكرناه، أنّ الالتباس والاشتباه في معنى الإله وفي معنى العبادة هو مِن الأسباب التي أعانت على أن لا يُضبط هذا الباب، وأن يُفتح الباب على مصراعيه لمن سَولت له نفسه، أو هواه، أو بعض الشُّبه التي قد أوْدت به إلى عبادة غير الله –عز وجل– وصرْف العبادة لغيره –تبارك وتعالى–.

فلن نطيل طبعا كما ذكرنا، نحن أخذنا على عاتقنا أن لا نطيل إن شاء الله في الشرح، لكن نذكر بعض الأمور التي نريد طالب العلم إن شاء الله أن يضبط بها هذه المسائل، فيعلم مِن أين يدخل الداخل عليه في هذا الباب.

طيب، العبادة في اللغة هي: الذل والخضوع.

وفي الشرع: اسم جامع لجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة. فجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة يعني أعمال الجوارح واللسان، والباطنة أي أعمال القلوب، كالخوف، والخَشية، والإنابة، هذه كلها أعمال قلوب، والخضوع وإلى غير

ذلك، فهذه كلها من أعمال القلوب؛ فجميع ما يحبه الله ويرضاه مِن الأعمال الظاهرة والباطنة فهو عبادة، فلا يجوز صرف شيء من تلك العبادات لغير الله -عز وجل-.

فإذا أَحكمت هذا المدخل، بارك الله فيك، اتضحت عندك كثير مِن هذه المسائل، وكثير من الاشتباه الحاصل في هذا الباب، فلعل إيضاح هذه المسألة إن شاء الله يُجلي بحول الله -عز وجل- الالتباس في هذا الباب، فإذا علمت أنّ جميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو عبادة لله -عز وجل-، وقد عَلِمت بالاضطرار وبأدلة الشرع أنّ العبادات لا تكون إلا لله وأنه لا يُعبد إلا الله -عز وجل-، كما قال –سبحانه-: ﴿ **وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْـــًٔا** ﴾[1]، فأمَرَ الله -سبحانه وتعالى- الخلق بعبادته، ونهاهم عن عبادة من سواه، ونهاهم عن صرف العبادة لغيره -سبحانه وتعالى-، وكما يقول ابن القيم -عليه رحمة الله تعالى- في النونية، يقول:

وعِبَادةُ الرحْمانِ غَايَةُ حُبِّهِ   مَعَ ذُلِّ عَابدِهِ هما قُطْبانِ

وعليهما فَلَكُ العبادة دَائِرٌ   مَا دَارَ حتى قامت القطبانِ

فمدار العبادة والعبودية لله -عز وجل- على المحبة والذل، على المحبة والخضوع، فلذلك يُعبر عنها بعض أهل العلم: هي كمال المحبة مع كمال الذل، فإذا انصرف ذلك لغير الله -عز وجل- كان شركا بالله -تبارك وتعالى-.

وأما الشرك وهو الأمر الثاني الذي قلنا لابد من بيانه لكي تتضح هذه القاعدة إن شاء الله وينجلي إن شاء الله ما فيها من الخفاء، الأمر الثاني هو الشرك، ما هو الشرك؟ وقلنا إنّ

[1] [النساء: ٣٦]

الشرك في اللغة هو: أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، فيكونان فيه كالقرينين كالمتساويين، هذا في اللغة.

وفي الشرع، ما هو الشرك في الشرع؟ هو: صَرْف شيء مِن خصائص الألوهية، أو الربوبية، أو الأسماء والصفات، لغير الله -تبارك وتعالى-؛ وللتنبيه هنا نقول: إنّ أهل العلم إذا أطلقوا لفظ الشرك، فالأصل أنه يُراد به ماذا؟ الشرك في الألوهية، الأصل أنه يُراد به الشرك في الألوهية، هذا الآن الأمر الثاني. يعني طبعا لماذا ذكرت الآن الشرك؟ قلنا: هو صرف شيء من خصائص الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات، لو رجعنا إلى القاعدة التي معنا، ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، منهم من يعبد الأنبياء والصالحين، منهم من يعبد الأحجار، والأشجار، والشمس، والقمر، فهذا يدل على أنّ هذه الأشياء قد صُرفت لها شيء من الخصائص، إما مِن خصائص الألوهية أو خصائص الربوبية والألوهية، وقد أيضا يدخل في ذلك شيء من خصائص الأسماء والصفات.

الأمر الثالث الذي ينبغي بيانه هنا وهو: أنّ صرف العبادة لغير الله -عز وجل- يكون شركا، فكل من صَرف عبادةً من العبادات لغير الله -عز وجل- كان مشركا بالله -تعالى- في هذا الباب؛ وقد أجاب ربنا -تبارك وتعالى- عن هذه الشبهة حيث أنّ بعضَ المبتدعة يقول: إنّ صرف العبادة لغير الله -عز وجل- لا يكون شركا إلا إذا اعتقد الإنسانُ أنّ هذا الذي صُرف له العبادة إله، فإذا لم يعتقد أنه إله، فإنّ ذلك لا يكون شركا، هكذا قال بعضُ أهل البدع، وهذه الشبهة قد أبانها ربنا -تبارك وتعالى- في كتابه، في مواضع كثيرة، ستأتي معنا طبعا الأدلة هنا، يعني لِكي لا نستعجل، كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن**

تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾[2] وقوله –سبحانه وتعالى-: ﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ**﴾[3] وغير ذلك، وأيضا الآيات التي فيها بيان أنّ المشركين كانوا يُقرون بتوحيد الربوبية، فهي تفيد هذا المعنى، وطبعا هنالك تفاصيل تندرج تحت هذه المسائل لكن أنا أريد فقط أن أشير إشارات تُوضِح معنى عام، وأما التفاصيل إن شاء الله تأتي معنا لاحقا في كتاب التوحيد بحول الله –سبحانه وتعالى-، لذلك يقول الإمام النووي –عليه رحمة الله تعالى– في شرح صحيح مسلم، قال: " الشركُ والكفرُ قد يُطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله، وقد يُفَرَّقُ بينهما فيُخَصُّ الشركُ بعبادة الأوثان (هنا الشاهد الآن الذي أريده من هذا الكلام)، قال: فيُخصُّ الشرك بعبادة الأوثان وغيرها مِن المخلوقات، مع اعترافهم بالله –تعالى- ككفار قريش، فيكون الكفرُ أعمَّ مِن الشرك". انتهى كلامه –رحمه الله تعالى-، فأوضح هنا أنّ المشركين يعترفون بالله –عز وجل-، لكنهم مع ذلك كانوا يعبدون غير الله – تبارك وتعالى-، ولذلك يقول الله –سبحانه وتعالى-: ﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾[4]، فهم يعدلون بالله –عز وجل-، فيجعلون مع الله –سبحانه وتعالى- مساويا له.

ذكرت هذه الأمور لأجل أن تتضح لنا المسألة، القاعدة الثالثة، والتي تدور حول أنّ النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أقوام كانوا يعبدون غير الله –تبارك وتعالى-، وعبادتهم هذه لغير الله –سبحانه وتعالى- كانت بعضُها مصروفة للملائكة، وبعضها مصروفة للأنبياء، وبعضها للصالحين، وبعضها للأحجار، وبعضها للأشجار، وبعضها للشمس والقمر، وغير

2 [آل عمران: ٨٠]

3 [فصّلت: ٣٧]

4 [الأنعام: ١]

ذلك مما كان يَصرفه هؤلاء المشركين لغير الله –تبارك وتعالى–.

نأتي الآن على بيان الأدلة التي ذكرها المصنف –عليه رحمة الله تعالى– يقول:

[المتن]

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾[5].

[الشرح]

هذا الدليل ذكره المصنف على آخر جملة ذكرها في حديثه، قال: (**وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَمِيعًا وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ**). فهذه القاعدة الآن تضمنت مسألتين:

١. المسألة الأولى: بيان أنّ المشركين كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين والأحجار والأشجار، كانوا متفرقين في العبادة.

٢. الأمر الثاني الذي تضمنته هذه القاعدة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرق بينهم جميعا؛ صَرفت العبادة لغير الله فأنت مشرك، سواءٌ كان صرْفُك لهذه العبادة لغير الله –عز وجل– سواء كان للملائكة، سواء كان للأنبياء، سواء كان للصالحين، سواء كان للأحجار، للأشجار لا فرق، لم يُفرّق بينه النبي صلى الله عليه وسلم.

وضبطُك لهذه المسألة بارك الله فيك، تُحكم لك، كما سبق وكما ذكرنا مرارا، المداخل التي يحاول أن يَدخل بها أهل البدع في هذا الباب. النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرق كما قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾، فلا يصرف

[5] [الأنفال: ٣٩]

شيء لغير الله -تبارك وتعالى-، ثم ذكر أدلة؛ الأدلة التفصيلية على ما ذكره من الأشياء التي كانوا يصرفون العبادة لها.

فقال:

[المتن]

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٦]

[الشرح]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ ﴾، ومِن المعلوم أنّ هنالك من كان يعبد الشمس والقمر، وكذلك قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، خرج على قوم كان بعضهم يعبد الكواكب والنجوم، ومنها القمر والشمس.

قال:

[المتن]

وَدَلِيلُ الْمَلاَئِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً...﴾[٧].

[الشرح]

[6] [فصلت: ٣٧]

[7] [آل عمران: ٨٠]

طيب، هذا الآن الدليل الثاني ذكره المصنف –رحمه الله تعالى– كما ذكرنا، لبيان أنّ هنالك من يصرف العبادة لغير الله –سبحانه وتعالى–؛ ومما يُصرف له العبادة ماذا قلنا؟ الملائكة، هنا ذكر الملائكة، النبيين جاءت في الآية، لكن سيأتي الدليل خاص بها أيضا.

طيب، قال: ﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا**﴾، هذا ذكره –سبحانه وتعالى– حين ذكر إرساله للأنبياء: ﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾، فكان المشركون منهم من يتخذ الملائكة أربابا.

وقد جاء في كتاب الله –تعالى– ما يُوضح هذه المسألة أيضا كما في سورة سبأ يقول الله –سبحانه وتعالى– مخاطبا الملائكة: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** ﴾[8].

قال:

[المتن]

وَدَلِيلُ الأَنْبِياءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـــهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ الآية [9].

---

8 [سبأ: ٤٠-٤١]

9 [المائدة: ١١٦]

[الشرح]

وتكملة: ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ** ﴾[10] إلى أخر الآيات، فالله –سبحانه وتعالى– هنا يقول لعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام: ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾، ولذلك الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** ﴾[11] الآيات، وعيسى عليه الصلاة والسلام قد بُعث أيضا في بني إسرائيل، وأيضا اليهود كانت تعبد عُزَيْرا، منهم من كان يعبد عزير، ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾[12]، وكان منهم مَن يصرف العبادة لعزير، ومنهم من يصرف العبادة لعيسى عليه الصلاة السلام. فالله –سبحانه وتعالى– فأبان أنّ هؤلاء كلهم ماذا؟ أشركوا بالله وكفروا بالله –عز وجل–.

[المتن]

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ... ﴾ الآية[13].

[الشرح]

---

10 [المائدة: ١١٧]

11 [المائدة: ٧٢]

12 [التوبة: ٣٠]

13 [الإسراء: ٥٧]

طبعا هذه الآية تتضح لبيان سبب نزول هذه الآية، كما يقول ابن مسعود –رضي الله عنه– في صحيح مسلم في ما معناه، يقول: " كان أقوام من الإنس يعبدون أقواما من الجن – يعني كان هنالك بعض الإنس يعبدون الجن – فأسلم أولئك النفر من الجن، أسلم هؤلاء الجن، واستمر الإنس على عبادتهم، فأنزل الله –سبحانه وتعالى – هذه الآية ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ** ﴾، يعني الضمائر هنا قد تُشكل إذا طالب العلم لم يفهم إلى من تعود الضمائر.

طيب ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ** ﴾: أولئك من هم؟ أولئك يعني الجن.

﴿ **الَّذِينَ يَدْعُونَ** ﴾: يعني أولئك الجن الذين تدعوهم يا أيها الإنس.

أولئك الجن ما بهم؟ ﴿ **يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾، فالجن أسلموا فهم يبتغون الوسيلة إلى الله –عز وجل–، إلى ربهم –تبارك وتعالى–، أي يتقربون إليه بالأعمال الصالحة ﴿ **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...** ﴾، ومع ذلك استمر هؤلاء الإنس في عبادة هؤلاء الجن فكانوا يعبدون قوما صالحين.

طيب أيضا ذكر دليل الأشجار والأحجار في قوله –تعالى–:

[المتن]

﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾[١٤].

[الشرح]

[14] [النجم: ١٩، ٢٠]

طبعا اللات اُختلف فيه، فمنهم من قال: هو رجل صالح كان يلتُّ السويق على قراءة ابن عباس –رضي الله عنهما– اللاّت بتشديد التاء على أنه رجل صالح، ومنهم من قال: هو عبارة عن صخرة عليها بيت، وكان الناس يعبدون هذه الصخرة، وهي كانت لثقيف، وهم في الطائف.

طيب، قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾، طبعا العزَّى قيل أنها شجرة ما بين مكة والطائف، ومناة قيل هي صخرة كان الناس يعبدونها أيضا وكانت لخزاعة والأوس والخزرج.

طيب وأيضا حديث أبي واقدٍ الليثي قال:

[المتن]

وَحَدِيُث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ.

[الشرح]

وفي تكملة الحديث قال صلى الله عليه وسلم: " **الله أكبرُ إنها السّنَنُ، لقد قلتم والله كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسىِ: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون** "، مع أن هؤلاء الصحابة –رضي الله عنهم– طبعا كما أخبر أبو واقد –رضي الله عنه–: " **ونحن حدثاء عهد بكفر**" يعني أسلموا حديثا، فكانوا يظنون –رضي الله عنهم– أن هذا الفعل أنه لا يكون شركا، هم الآن دخلوا الإسلام، يشهدون أن لا إله إلا الله، ويعتقدون حرمة الشرك، وأن

الشرك لا يجوز صرفه لغير الله –عز وجل–، والإنسان لا يكون مسلما حتى يعلم أن الشرك لا يجوز صرفه لغير الله –عز وجل–، فدخلوا في الإسلام، لكن لما قالوا هذه المقالة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:" **لقد قلتم والله كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسىِ: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون** ". وطبعا ذات أنواط هي سدرة كانت للمشركين يعلقون بها الأسلحة، يتبركون بتعليق الأسلحة لأجل لما يقاتلوا المسلمين يعني يغلبون المسلمين بسبب تعليقهم الأسلحة على تلك الشجرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بذلك: بأنهم بفعلهم هذا وافقوا قول قوم موسى حين قالوا: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة.

طيب القاعدة الرابعة، قال:

[المتن]

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[15].

[الشرح]

هذه القاعدة تضمنت بيان أن المشركين في هذا الزمان هم أغلظ شركا من المشركين الأولين في جهة معينة، وما هي؟ أن المشركين الأولين كانوا يشركون متى؟ في الرخاء فقط، لكن إذا حصلت لهم شدة ماذا يفعلون؟ يخلصون الدعاء لله –عز وجل–، اليوم أرباب القبورية والقبوريون أول ما يخطر بباله إذا أصيب بمصيبة أن يقول: يا بدوي، يا حسين، يا فلان، يا

[15] [العنكبوت: ٦٥]

كذا، يا كذا، أغثني، أدركني. أول ما يخطر في باله أن ينادي من؟ ينادي المخلوقين، بينما أهل التوحيد أول ما يخطر في بالهم ماذا؟ يقولون: يا الله، يا ذا الجلال والإكرام، يا رحمان، يا رحيم، يفزعون إلى رب السماوات والأرض، فشتان بين أهل التوحيد الذين إذا أصابهم الكرب فزعوا والتفتوا إلى ما فوق السموات، وأما أهل القبور فالتفتوا إلى ما تحت الأرض، فشتان، وهذا من فضل الله –سبحانه وتعالى– على أهل التوحيد أن جعل هممهم تنصرف إلى العلو، بينما هؤلاء انصرفت هممهم إلى السفل وإلى ما تحت الأرض، ﴿ **وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ** ﴾ [16]

طيب يقول هنا الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وما هو الدليل على ذلك؟ قول الله –عز وجل–: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ** ﴾ خلاص عاينوا الراحة ﴿ **إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ ولذلك يعني هؤلاء لما انصرفت عندهم دعاؤهم، واستغاثتهم، ولجأهم، انصرف كله إلى غير الله –سبحانه وتعالى– في الرخاء والشدة، كانوا أغلظ شركا من شرك الأولين.

طيب، الآن هنا مسألة مهمة قد تندرج تحت هذه القاعدة، وهي: لكي نوضح المسألة أكثر رجل الآن في بعض البلدان العربية يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، إلى آخره، لكن هذا الرجل عنده شيء من الشركيات كحال كثير من المسلمين الآن الذين ينتسبون إلى دين الإسلام، فهل يُحكم عليه هذا مباشرة أنه خارج من دين الإسلام فهو مشرك شركا أكبر خارج من دين الإسلام؟ هو مشرك شرك اكبر نعم، يفعل شرك اكبر، لكن هل هو خارج من دين الإسلام بناءا على أننا نقول أن مشركين زماننا هم

16 [الحج: ١٨]

أغلظ شركا من شرك الأولين؟ فنقول: هذا ما تكلم عليه جمع من أهل العلم منهم شيخ الإسلام –عليه رحمة الله تعالى– في كتابه ***الرد على البكري*** في الاستغاثة، والشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– له تفسير جيد في هذه المسألة وهي: أن الإنسان إذا فعل هذا الأمر عن جهل كما يقول الشيخ ابن عثيمين فإنه لا يحكم عليه مباشرة حتى يزول عنه هذا اللبس، وللعلامة الشيخ المعلِّمي –عليه رحمة الله تعالى– كلام نفيس جدا يحرص عليه طالب العلم في كتابه ***العبادة***، تعرَّض لهذه المسألة، وتكلم بكلام نفيس جدا في هذه المسألة، بما معنى كلامه أن: من كان همه الإسلام، ويريد دين الإسلام، ويحب دين الإسلام، إذا وقع فيما يخالف الإسلام ليس عن رغبة منه، وإنما عن جهل أو نحو ذلك، فهذا يبقى على دين الإسلام، ويُعامل معاملة المسلمين..، هذا حاصل كلامه وخاتمة كلامه –عليه رحمة الله تعالى– وتلخيص كلامه، فيُرجع إن شاء الله إلى كلام المعلِّمي وإلى كلام الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– ففيه تفصيل جيد ونفيس في هذه المسألة.

فهذا ما عندنا حول هذه القواعد الأربع، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعل ما قلناه خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن لا يجعل في ما قلناه حظا لأنفسنا، وأن ينفع به، وأن يرفع به، وأن يجعله موافقا لأعمالنا، وأن يصيب إن شاء الله قلبا صالحا، طالبا للحق، طالبا للهدى والنور، طالبا للصلاح والرشاد، فالله –سبحانه وتعالى– أعلى وأعلم وصلى الله على وسلم على نبينا محمد.